

متى تقبل الشمس أوانها؟!

السيد حسين إبراهيم^(١)

إلى الهمّ المحمول في عزائم الشباب هذه الصيحة في وادي الزمان
الضرير.

هَجَعَتْ وَهَلَّ تَهَجُّعُ اللَّاهِفَةِ
وَهَلَّ تَسْتَلِدُ النُّعَاسِ الْقَطَاةُ
وَهَلَّ تَطْمَئِنُّ الْعُيُونُ الَّتِي
تَسَلُّ مِنْ مَصَلِّ أَمْشَاجِهَا
وَكَيْفَ تَجِدُ النُّجُومَ الَّتِي عَرَّ
وَلَمْ تَقْطِفِ الْمَجْدَ مِنْ كُمَّه
وَتَعْتَعَهَا السُّكْرُ فَاذْيَنْتَ
كَأَنَّ أَصَابِعَ مَاسَاتِيهَا
أَتَلِكَ الَّتِي نَشَرْتَ عِقْدَهَا
وَتَاهَتْ عَلَى طَبَقَاتِ السَّمَاءِ
بَلِيلٍ دَجَا بَارِدِ الْعَاطِفَةِ؟
إِذَا اسْتَشْعَرْتَ بِالْعِدَى زَاحِفَةَ؟
تَنْنُ جِرَاحَاتِهَا النَّازِفَةَ
لِتُحْرِقَ أَحْلَامَهَا الطَّارِفَةَ؟
بَدَتْ فِي لِيَالِي الْهَوَى قَاصِفَةَ
وَأَهْوَتْ عَلَى مَبْسِمِ قَاطِفَةَ
مِنَ السُّكْرِ فِي حُلَّةٍ خَاسِفَةَ؟
تَخُطُّ عَلَى مَجْدِهَا حَازِفَةَ
مَصَابِيحَ فِي اللَّيْلِ الصَّائِفَةَ
بِأَثَارِ حَكْمَتِهَا الْعَارِفَةَ

(١) أستاذ في الحوزة العلمية، من لبنان.

وَأَعَطَتْ جَوَارِيَهَا أَوْلُؤًا
وَضَلَّتْ صَبَاحًا عَلَى عَرَشِهَا
فَمَا أَبْعَدَ الْأَمْسَ مِنْ حَاضِرٍ
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ نَائِي شَجِيٍّ
وَبَيْنَ زَعَارِيدِ وُرْقِ الْحَمَامِ
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ طَوْدٍ مُنِيفٍ
وَبَيْنَ زَمَانَيْنِ: هَذَا كَعْرَسٍ
لِتَمْضِي عِنْدَ الْمَسَا رَاصِفَهُ
عَلَى رُغْمِ شَمْسِ الضُّحَى الدَّالِفَةِ؟
تَصَاعَدُ آهَاتُهُ هَاتِفَهُ
يُؤرِّخُ لِلدَّمْعَةِ النَّاشِفَةِ
الَّتِي أَعْجَزَتْ قُدْرَةَ الْوَاصِفَةِ
وَكُوخِ سَفْتَتِهِ يَدٌ نَاسِفَهُ
وَذَاكَ كَأَرْمَلَةٍ وَاجِفَهُ

* * *

مَتَى تَقْبَلُ الشَّمْسُ أَلْوَانَهَا
إِلَّامٌ نُبْدُلُ جِلْدًا بِجِلْدٍ
وَلِمَ نَسْتَعِيرُ مَزَامِيرَهُمْ
وَنَسْتَلُّ مِنْ خَشْيَةِ غَشْيَةٍ
وَفِي كُلِّ بَيْتٍ لَنَا آيَةٌ
أَتَحْصِي عَلَى النَّاسِ أَنْفُسَهُمْ
وَكَيْفَ...؟! وَيَا طَالَمَا خَاطَرُوا
وَيَا طَالَمَا سَبَّحَتْ أُمَّتِي
أَفِيْقِي فَصَارُوا هُمُ السَّابِقُونَ
نُخْبِيءُ أَعْيُنَنَا وَالنَّعَامُ
وَفِي أُمَّتِي فِرْقَةٌ ذَاهِلُونَ
وَلَا تَطْلُبُ الْحُمْرَةَ الزَّائِفَةَ؟
وَنَسْتَبْدِلُ الرِّيحَ بِالْعَاصِفَةِ؟!
وَنَسْمَعُ مَا شَاءَتِ الْعَازِفَةُ
وَنُتْلِفُ أَعْصَابَنَا التَّالِفَةَ؟
تَمَخَّضُ عَنْ أَيِّكَ وَارِفَةَ
وَتَرْفُضُ أَنْسَابَهُمْ قَائِفَةَ؟
عَلَى كَفِّ رِيحٍ بِهِمْ طَائِفَهُ
بِحَبَّاتٍ أَمْجَادِهَا السَّالِفَةَ
وَصِرْنَا عَلَى مَرْكَبِ خَالِفَةَ
تُخْبِيءُ أَعْيُنَهَا الْخَائِفَةَ
يُرْجُونَ صُوفِيَّةً كَاشِفَةَ

وَطَائِفَةٌ تَسْتَعِيدُ الْحَكَايَا
وَأُخْرَى تُقَلِّبُ كَفِّي ضِيَاعِ
وَأُخْرَى تُحَاوِلُ رَتَقًا فَتَعِيَّ
كَبَارِقَةٍ رَاوَدَتْهَا السَّمَاءُ
عَلَى وَقَعِ أَنْهَارِهَا الْجَارِفَةِ
وَتَعْرِضُ أَحْوَالَهَا آسِفَةَ
وَتَصْرِفُهَا عَرْضًا صَارِفَةَ
فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَضَتْ خَاطِفَةَ

* * *

أَكُنْتُ فَبِنْتُ، وَمَالَ الْغَبِيطُ
وَكَانَتْ مُدَامَةً عَشِقٍ فَلَمَّا
وَيَا أُمَّتِي لَسْتُ نَفْحَةَ غَيْبِ
فَلَا ذِكْرِيَاتُ الرِّمَاحِ الْعَوَالِي
وَلَا وَشَوْشَاتُ الزَّمَانِ الضَّرِيرِ
لَقَدْ كُنْتُ قَدَمًا بِحَنْظَلِ جَهْلِ
فَفَكَ مَغَالِيْقُ نَفْسِكَ نُورٌ
وَأَبْحَرْتُ فِي مَلَكُوتِ تَكْشُ
فَكَانَ كَسْرُكَ فِي الْعَالَمِينَ
إِلَى أَنْ سَدَلْتِ عَلَى النُّورِ سِتْرًا
تَرَكَتِ الشُّكَاةَ وَأَعْلَنْتِ طِفْلِي
لِيَقْبَسَ مِنْ طِينَةِ السُّعْدَاءِ
وَيُوقِدَهَا فِي ضَمِيرِ الرِّجَالِ
أَلَا لَيْتَمَا يَسْتَفِيْقُ الزَّمَانُ
وَمَهْمَا اسْتَنَامَ رَفِيْفُ الْحَيَاةِ
بِمَحَبُّوبَةٍ رَحَلَتْ عَائِفَةَ
مَلَلْتُ الْهُوَى غَرَبْتُ عَازِفَةَ
وَلَكِنِّي نَسِمَةٌ رَائِفَةَ
تُعِيدُ سَنَا شَمْسِنَا الْكَاسِفَةَ
تَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا الرَّاجِفَةَ
عَلَى طَلَلِ دَارِسِ نَاقِفَةَ
تَخِرُّلُهُ اللَّيْلَةَ السَّادِفَةَ
فَ عَنْ كُلِّ حَالٍ وَأَخْفَى صِفَةَ
وَكَانَ قَضِيَّتِكَ الْهَادِفَةَ
يُجْرَجِرُ أَغْطِيَةَ رَادِفَةَ
غَدَاً مُشْرِقَ الْعِزْمِ وَالْعَاطِفَةَ
حَنِيناً إِلَى جَذْوَةِ أَنْفَةِ
دَمًا يَطْرُدُ الظُّلْمَةَ الرَّاحِفَةَ
عَلَى فِرْقَةٍ تَنْبَرِي وَأَقِفَةَ
فَلَا بُدَّ مِنْ صَحْوَةِ أَرْفَةِ